سورة الأعلى

مكية، وآياتها ١٩

[نزلت بعد التكوير]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾

تسبيح اسمه ـ عز وعلا ـ: تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي إلحاد في أسمائه، كالجبر والتشبيه ونحو ذلك، مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار، لا بمعنى العلوّ في المكان والاستواء على العرش حقيقة؛ وأن يصان عن الابتذال والذكر، لا على وجه الخشوع والتعظيم. ويجوز أن يكون ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ صفة للرب، والاسم؛ وقرأ عليّ ـ رضي الله عنه ـ: سبحان ربي/ ٢/ ٢٦٠ب الأعلى. وفي الحديث لما نزلت: فسبح باسم ربك العظيم، قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال: «اجعلوها في سجودكم» (١٧٤٠) وكانوا يقولون في الركوع:

١٧٤٠ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٥٤٢): كتاب الصلاة: باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، الحديث (٨٧٠) والبيهقي من طريقه (٢/ ٨٦): كتاب الصلاة، باب القول في الركوع، من رواية الليث بن سعد، عن أيوب بن موسى أو موسى بن أيوب، عن رجل من قومه، عن عقبة بن عامر، قال: لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾، قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾، قال لنا: اجعلوها في سجودكم فكان رسول الله ﷺ إذا ركع: قال: سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثًا، وإذا سجد قال: سبحان ربي الأعلى وبحمده ثلاثًا».

قال أبو داود: (وهذه الزيادة نخافُ ألا تكون محفوظة)، يعني قوله: «فكان رسول الله ﷺ إذا ركع قال: الحديث» لأن المعروف في الحديث بدونها إلى قوله: «اجعلوها في سجودكم».

وأخرجه بدون هذه الزيادة:

الطيالسي (١/ ١٣٥)، الحديث (١٠٠٠)، وأحمد (٤/ ١٥٥)، والدارمي (١/ ٢٩٩): كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع، وأبو داود (١/ ٥٤٢): كتاب الصلاة: باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، الحديث (٨٦٩)، وابن ماجه (١/ ٢٨١): كتاب إقامته الصلاة: باب التسبيح في الركوع =

اللهم لك ركعت، وفي السجود: اللهم لك سجدت ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: خلق كل شيء فسوّى خلقه تسوية، ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم، ولكن على إحكام واتساق، ودلالة على أنه صادر عن عالم، وأنه صنعة حكيم ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ قدّر لكل حيوان ما يصلحه، فهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع به. يحكى أنّ الأفعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت، ولقد ألهمها الله أنّ مسح العين بورق الرازيانج الغضّ يرّد إليها بصرها، فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها، فتحك بها عينيها وترجع باصرة بإذن الله وهدايات الله للإنسان إلى ما لا يحدّ من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في أغذيته وأدويته، وفي أبواب دنياه ودينه، وإلهامات البهائم والطيور وهوامّ الأرض: باب واسع، وشوط بطين[1]، لا يحيط به وصف واصف؛ فسبحان ربي الأعلى. وقرئ: «قدر» بالتخفيف ﴿أَحْوَىٰ﴾ صفة لغثاء، أي ﴿أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ أنبته ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بعد خضرته ورفيفه ﴿غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ درينا[2] أسود. ويجوز أن يكون ﴿أَحْوَىٰ﴾ حالا من المرعى، أي: أخرجه أحوى أسود من شدّة الخضرة والريّ، فجعله غثاء بعد حوّيه.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾

بشره الله بإعطاء آية بينة، وهي: أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ، فيحفظه ولا ينساه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته، كقوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] وقيل: كان يعجل بالقراءة إذا لقنه جبريل، فقيل: لا تعجل، فإنّ جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة إلى أن تحفظه؛ ثم لا

= والسجود، الحديث (٨٨٧)، والحاكم (١/ ٢٢٥): كتاب الصلاة: باب القنوت في الصلوات، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٣٥): كتاب الصلاة: باب ما ينبغي أن يقال في الركوع والسجود، والبيهقي (٢/ ٨٦) كتاب الصلاة: باب القول في الركوع، وابن خزيمة (١/ ٣٠٣)، رقم (٦٠٠)، وأبو يعلى (٣/ ٢٧٩)، رقم (١٧٣٨)، وابن حبان (٥٠٦ ـ موارد)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٠٢).

وقال الحاكم: (صحيح الإسناد)، ووافقه الذهبي وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، فقد أخرجاه ولم يعللاه بشيء.

قال الحافظ: أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان وأحمد من رواية إياس بن عامر عن عقبة بن عامر به. انتهى.

---

(١) قوله: «وشوط بطين» أي بعيد أفاده الصحاح. (ع)

(٢) الدرين: حطام المرعى إذا قدم، كذا في الصحاح. (ع)

تنساه إلا ما شاء الله، ثم تذكره بعد النسيان. أو قال: إلا ما شاء الله، يعني: القلة والندرة، كما روي «أنه أسقط آية في قراءته في الصلاة، فحسب أبيّ أنها نسخت، فسأله فقال: نسيتها» (١٧٤١) أو قال: إلا ما شاء الله: والغرض نفي النسيان رأسًا كما يقول الرجل لصاحبه: أنت سهيمي فيما أملك إلا فيما شاء الله، ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي. وقيل قوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ على النهي، والألف مزيدة للفاصلة، كقوله: ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]، يعني: فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه، إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحه ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ يعني أنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل ـ عليه السلام ـ مخافة التفلت، والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك إلى الجهر، فلا تفعل، فأنا أكفيك ما تخافه. أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم، وما ظهر وبطن من أحوالكم، وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه، فينسى من الوحي ما يشاء؛ ويترك محفوظًا ما يشاء.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ معطوف على ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ اعتراض ومعناه: ونوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل، يعني: حفظ الوحي[1]. وقيل: للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع وأسهلها مأخذًا. وقيل: نوفقك لعمل الجنة. فإن قلت: كان الرسول ﷺ مأمورًا بالذكرى نفعت أو لم تنفع، فما معنى اشتراط النفع؟ قلت: هو على وجهين، أحدهما: أنّ رسول الله ﷺ قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم، وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلا عتوًا وطغيانًا، وكان النبي ﷺ يتلظى حسرة وتلهفًا ويزداد

١٧٤١ ـ أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٦٧) رقم (٨٢٤٠) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٩٤): «ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه وفي مسنده والطبراني في معجمه وقالا فيه: فضحك ثم قال: «بل نسيتها» وكذا البخاري في كتابه المفرد في الأدب في القراءة خلف الإمام بسنده ومتن الطبراني وإسناده على شرط الشيخين» ا. هـ.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة والنسائي والبخاري في جزء القراءة والطبري من رواية ذر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال: «صلى رسول الله ﷺ الفجر فقرأ آية فذكر الحديث» وأخرجه أبو بشر الدولابي من هذا الوجه فقال: عن سعيد عن أبيه عن أبي بن كعب... فذكره:

---

(١) قوله: «يعني حفظ الوحي» لعله: يعني في حفظ الوحي. (ع)

جدًا في تذكيرهم وحرصًا عليه، فقيل له: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الزخرف: ٨٩]، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير. والثاني: أن يكون ظاهره شرطًا، ومعناه ذمًا للمذكرين، وإخبارًا عن حالهم، واستبعادًا لتأثير الذكرى فيهم، وتسجيلًا عليهم بالطبع على قلوبهم، كما تقول للواعظ: عظ المكاسين إن سمعوا منك. قاصدًا بهذا الشرط استبعاد ذلك، وأنه لن يكون ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ فيقبل التذكرة وينتفع بها ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾ الله وسوء العاقبة، فينظر ويفكر حتى يقوده النظر إلى اتباع الحق: فأمّا هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين، فلا تأمل أن يقبلوا منك ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ ويتجنب الذكرى ويتحاماها ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ الكافر؛ لأنه أشقى من الفاسق/ ٢/ ٢٦١أ. أو الذي هو أشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله ﷺ. وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة ﴿ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ السفلى من أطباق النار[1] وقيل ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ نار جهنم. والصغرى نار الدنيا وقيل ﴿ثُمَّ﴾ لأنّ الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلي، فهو متراخ عنه في مراتب الشدّة والمعنى: لا يموت فيستريح، ولا يحيى حياة تنفعه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾

﴿تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك والمعاصي. أو تطهر للصلاة. أو تكثر من التقوى، من الزكاة وهو النماء. أو تفعل من الزكاة، كتصدق من الصدقة ﴿فَصَلَّىٰ﴾ أي الصلوات الخمس، نحو قوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وعن ابن مسعود: رحم الله امرأ تصدق وصلى. وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال هو: التصدق بصدقة الفطر وقال: لا أبالي أن لا أجد في كتابي غيرها[2]، لقوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ أي

---

(١) قال محمود: «الأشقى: الكافر، لأنه أشقى من الفاسق. والنار الكبرى: السفلى من أطباق النار» قال أحمد: يشير إلى خلود الفاسق مع الكافر في أسافل النار؛ والفاسق أعلى منه، كما تقدم له التصريح بذلك كثيرًا.

(٢) قال محمود: «وعن علي أنه قال هو التصدق بصدقة الفطر وقال لا أبالي أن لا أجد في كتابي غيرها... إلخ» قال أحمد: في تلقي هذين الحكمين الأخيرين من الآية تكلف: أما الأول، فلأن العطف وإن اقتضى المغايرة فيقال بموجبها: فنحن إن قلنا إن تكبيرة الإحرام جزء من الصلاة، فالجزء مغاير للكل، فلا غرو أن يعطف عليه، والمغايرة مع الجزئية ثابتة والحالة هذه. وأما الثاني، فلأن الاسم معرف بالإضافة، وتعريف الإضافة عهدي عند محققي الفن، حتى إن القائل إذا قال: جاءني غلام زيد، ولزيد غلامان، فإنما تفهم من قوله معينًا منهم بسابق عهد بينك وبينه، هذا مهيع تعريف الإضافة؛ والمعهود في افتتاح الصلاة: ما استمر النبي ﷺ على العمل به قولاً وفعلاً: وهو =

أعطى زكاة الفطر، فتوجه إلى المصلى، فصلى صلاة العيد، وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح، وعلى أنها ليست من الصلاة لأن الصلاة معطوفة عليها، وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له. وعن الضحاك: وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ فلا تفعلون ما تفلحون به. وقرئ: يؤثرون، على الغيبة. ويعضد الأولى قراءة ابن مسعود: بل أنتم تؤثرون ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أفضل في نفسها وأنعم وأدوم. وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب[1].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى ﴿أَبْقَىٰٓ﴾ يعني أنّ معنى: هذا الكلام وارد في تلك الصحف. وقيل: إلى ما في السورة كلها. وروي: عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ «أنه سأل رسول الله ﷺ: كم أنزل الله من كتاب؟ فقال: مائة وأربعة كتب، منها على آدم: عشر صحف، وعلى شيث: خمسون صحيفة، وعلى أخنوخ: وهو إدريس: ثلاثون صحيفة، وعلى إبراهيم: عشر صحائف والتوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان» (١٧٤٢) وقيل: إنّ في صحف إبراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظًا للسانه عارفًا بزمانه مقبلًا على شأنه. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على إبراهيم وموسى ومحمد» (١٧٤٣). وكان إذا قرأها قال: «سبحان ربي الأعلى» (١٧٤٤) وكان علي وابن عباس يقولان ذلك. وكان يحبها (١٧٤٥) وقال: أول

١٧٤٢ ـ تقدم تخريجه في الحج. قال الحافظ: هو مختصر من حديث طويل أخرجه ابن حبان والحاكم. وقد تقدمت الإشارة إليه في الحج.

(تنبيه) وقع فيه على آدم عشر «صحائف» والذي عند المذكورين على موسى قبل التوراة عشر صحائف. انتهى.

١٧٤٣ ـ تقدم برقم (٣٤٦). قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

١٧٤٤ ـ رواه أبو داود (١/ ٢٩٦) كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة الحديث (٨٨٣) حدثنا زهير بن حرب، ثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق، عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس =

= التكبير المعروف، ولو تنزلنا على أنه في الآية مطلق، فالحصر في قوله: تحريمها للتكبير قيد إطلاقه.

(١) قوله: «إلا كنفجة أرنب» في الصحاح «نفجت الأرنب» إذا ثارت. (ع)

من قال «سبحان ربي الأعلى» ميكائيل (١٧٤٦).

= أن النبي ﷺ كان إذا قرأ «سبح اسم ربك الأعلى» قال: «سبحان ربي الأعلى».

ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) في الصلاة وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ا. هـ ووافقه الذهبي.

قال الحافظ: أخرجه أبو داود والحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بهذا. انتهى.

١٧٤٥ ـ قال الزيلعي (٤/ ١٩٨): «روى البزار في مسنده: ثنا يوسف بن موسى، ثنا وكيع، ثنا إسرائيل عن ثويد بن أبي فاختة عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال: كان رسول الله ﷺ يحب سورة «سبح اسم ربك الأعلى» قال الحافظ: أخرجه البزار عن يوسف بن موسى: ووكيع عن إسرائيل عن ثور بن أبي فاختة، عن أبيه، عن علي بهذا ورواه الواحدي من طريق أحمد بن حنبل ووكيع. انتهى.

١٧٤٦ ـ قال الحافظ: «ذكره الثعلبي عن علي بغير إسناد» ا.هـ.